إمارة بني صالح في نكور
(٩١-٤١٠هـ / ٧١٠-١٠١٩م)

دكتور: يسري أحمد زيدان
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

مقدمة:

شهدت منطقة نكور[١] الواقعة بأقصى بلاد المغرب على ساحل البحر المتوسط قيام إمارة إسلامية في أواخر القرن الأول الهجري وحتى بدايات القرن الخامس الهجري؛ هي إمارة بني صالح بن منصور التي حكمت تلك المنطقة حوالي تسع عشرة وثلاثمائة سنة، واشتهر معظم أمرائها بالحرص على الإسلام ونشره، ومقاومة ما يخالف مذهب أهل السنة والجماعة، والحرص على الارتباط بعلاقات وثيقة بالأندلس، والمشاركة مع أهلها في قتال أعدائهم.

وقد حظيت هذه الإمارة بمؤلف مفقود ألفه أحد وراقي الأندلس وهو «محمد بن يوسف الوراق» الذي ألف عدة كتب منها: كتاب في «مسالك إفريقية وممالكها» وفي أخبار «تيهرت»[٢]، و«وهران»، و«البصرة»،

---

(١) كتبت نكور عند الإصطخري (المسالك والممالك ص ٣٤)، وابن القوطية (تاريخ افتتاح الأندلس) (ص١١٠): ناكور. ويلاحظ هنا أن نكور قد خربت ولم يبق من آثارها اليوم إلا القليل. راجع: الإدريسي: «نزهة المشتاق» (جـ٢ ص٥٣٣). وذكر حسين مؤنس (هامش ص ١٩٣ جـ ١) «الحلة السيراء لابن الأبار» أن موقع نكور كان على نحو عشرة كيلومترات جنوب الحُسَيْمة الحالية إلى الشرق يسيراً، وأن حفريات أجريت بمكانها سنة ١٩٥٩م.

(٢) تقع تيهرت بأقصى المغرب وعنها راجع ياقوت: معجم البلدان جـ٢ ص٧-٨ .

و«سجلماسة» و«نكور»[1] . ووصفت مؤلفاته بالحسان[2] . وفيما عدا هذا الكتاب المفقود في تاريخ نكور لا يوجد كتاب آخر جمع كل أخبارها التاريخية والحضارية؛ إذ توزعت هذه الأخبار والوقائع والأحداث الخاصة بها في بعض المصادر التاريخية والجغرافية، وبعض كتب الطبقات والتراجم. ووردت أخبار سياسية يسيرة عنها في بعض المراجع التاريخية الحديثة، وهي أخبار قليلة، وبها بعض الاضطراب والخلط. من هنا دعت الحاجة إلى تقديم صورة كلية عن هذه الإمارة العربية لبيان دورها في تاريخ المغرب بصفة خاصة، وفي تاريخنا الإسلامي بصفة عامة، وذلك من خلال بحث علمي يتتبع الأخبار والروايات، ويتسم بالتحليل والمقارنة والتمحيص لها، فضلاً عن استجلاء موضوعات عديدة لم يعرض لها الباحثون المحدثون.

الموقع والسكان:

كانت مدينة نكور تقع على الساحل المغربي كمدينة وهران وسبتة ومليلة وطنجة[3] ، وكانت نكور تقرب من مليلة بصورة خاصة[4] . وذكر المؤرخون والجغرافيون أن نكور بين رواب منها جبل المدينة يعرف بالمصلى، وأنها بين نهرين: أحدهما يسمى نكور، وبها سميت المنطقة والمدينة، ويخرج من بلاد كزياية- نسبة إلى قبائل كزياية- من جبل بني تحوين. والآخر: يسمى نهر غيس، ومخرجه من بلد بني وریاغل- نسبة إلى قبائل بني وریاغل-. ومن جبل كوين ينبعث أيضًا النهر المعروف بنهر وزعة، وهو نهر كبير من أنهار المغرب.

---

(١) راجع ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة جـ٢ ص٦٧١. والصفدي: الوافي جـ٥ ص٢٥١ .
وذكر ابن الأبار أن محمد بن يوسف الوراق أصله من وادي الحجارة الأندلسية، وانتقل آباؤه إلى إفريقية فنشأ محمد بالقيروان، وعنى بالعلم، ودخل الأندلس في ولاية المستنصر بالله، وألف له «مسالك إفريقية وممالكها» وتوفى محمد بقرطبة.

(٢) ابن الأبار: المصدر السابق والصفحة نفسها.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ٢ ص٥٢٧ .

(٤) الحميري: الروض المعطار ص ٥٧٦ .

ويجتمع نهر نكور وغيس بموضع يقال له: «أكدال» ثم يتشعب هناك جداول[1].

وعليه فمدينة نكور تقع بين نهري: نكور وغيس. ولها مرسى على البحر المتوسط يبعد عنها بمقدار خمسة أميال، هو مرسى المَزِمَّة[2]. وقد أطلق اسم ساحل نكور «المَزِمَّة» عليها في بعض الأحيان[3]. ويقابل ثغر المزمة من بلاد الأندلس: مالقة وبَجَّانة[4]. ولقرب نكور من بلاد الأندلس ذكر ابن خلدون أن نكور من عدوة الأندلس[5]. ويمكن لنا أن نستخلص من خلال المصادر الوقت المستغرق بين نكور وبين مالقة الأندلسية، وهو ليلة واحدة يمكن فيها الوصول من مالقة إلى المزمة فنكور[6].

وقد ساهم قرب نكور من بلاد الأندلس- إضافة إلى عوامل أخرى سيأتي ذكرها- في قيام علاقة قوية بين أمراء نكور وبين حكام الأندلس، وبخاصة الأمويون منهم.

---

(١) راجع: البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٩٠-٩١. والحميري: الروض المعطار ص ٥٧٦، وابن عذاري: البيان المغرب جـ١ ص ١٧٦، وشيخ الربوة: نخبة الدهر ص ٢٣٥، وابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٢.

(٢) شيخ الربوة: نخبة الدهر ص٢٣٥، وابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٢.

(٣) راجع ابن عذاري: البيان المغرب جـ١ ص١٨٠ وص ٢٥٥، وراجع: البكري: المغرب ص٩٩. ويبدو لي أن قرب نكور من الساحل هو الذي أساغ تسميتها باسم مينائها المزمة، وقد ذكر ابن رسته (الأعلاق النفيسة ص ٣٥٧) أن نكور على البحر المالح (المتوسط). في حين أن نكور لم يرد تسميتها باسم مينائها الآخر على البحر المتوسط تمساميان لبعده عنها بعشرين ميلاً.

(٤) راجع: الإصطخري: المسالك والممالك ص٣٤، والبكري: المغرب ص ٩٠ و ص٩٦.
وبَجَّانَة: مدينة بالأندلس من أعمال كورة إلبيرة، وكانت مدينة خصبة وحصينة، وقد خربت، وانتقل أهلها إلى المرية. راجع: الإصطخري: المسالك والممالك ص ٣٤. وياقوت: معجم البلدان جـ١ ص٣٣٩. وذكر ابن حوقل (صورة الأرض ص ١٠٥) أن هذه المدينة أحدثت في الإسلام، وهي المرية. وعندي أن الأخيرة هي المحدثة في الإسلام حيث بناها الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م. وراجع: القزويني (آثار البلاد ص ٥٠٩)، وذكر أن بجانة قريبة من المرية.

(٥) ابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٢.

(٦) راجع: البكري: المغرب ص ٩٧، وابن عذارى: البيان المغرب جـ١ ص١٨٠.

ولنكور ثغر آخر على شاطئ البحر المتوسط هو «تمسامان»[1] ويبعد عن مدينة نكور بنحو عشرين ميلاً «وهو مرسى صيفي لايُكِنّ، ويقابله من بر الأندلس مدينة طونيانة»[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإدريسي انفرد بذكر اسم لنكور هو «بوذكور» حيث أشار إلى أن بوذكور مدينة تبعد مرساها بنحو عشرين ميلاً، وكانت مدينة فيما سلف، لكنها خربت، ولم يبق لها رسم «وتسمى في كتب التواريخ نكور»[3].

كما تجدر الإشارة أيضًا إلى أن نكور تُعَدّ من إقليم أو من بلاد الريف[4] بالمغرب المعروف كذلك بإقليم طنجة.

وحدد المؤرخون[5] حدود نكور من ناحية الشرق حيث تنتهي منطقة نكور عند مناطق قبائل: زُواغة، وجراوة[6] ومطماطة[7]. وتنتهي من ناحية الغرب عند أماكن قبائل: غمارة، ومَسَطّاسة وصَنهاجة، ثم بطون من أوْرَبة، وزناتة.

---

(١) وردت عند الحميري (الروض المعطار ص ١٢٨) تامسامان، وجاءت عند المقريزي (المقفى جـ٤ ص٧٠٥) تمسيامان. ووردت عند ابن خلدون (العبر جـ٦ ص٢١٣ تكسامان). وقد أشار الإدريسي (نزهة المشتاق جـ٢ ص٥٣٣) إلى هذا المرسى دون أن يذكر اسمه.

(٢) البكري: المغرب ص ٩١ وراجع الحميري: الروض المعطار ص ٥٧٧. وذكر الدكتور حسين مؤنس في «تاريخ المغرب جـ١ ص٢٢٢» أن المرسى الصيفي لا يستعمل إلا في الصيف، ومعنى (لايكن) أي: لا يأوي السفن في الشتاء.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق جـ٢ ص٥٣٣.

(٤) راجع: لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الثالث ص ١٧١ وفيها ذكر أمراء بني صالح في الريف الغربي أي بنكور. وراجع: ابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٧. وذكر الباحثون المحدثون أن الريف مصطلح يطلق على سلسلة جبال في شمال المغرب تمتد في شكل هلال من سبتة إلى مليلة ويتراوح ارتفاعها من ألف إلى ألفي متر، وتنحدر منها عدة أودية تصب مياهها في البحر الأبيض المتوسط. راجع تعليق د. أحمد مختار العبادي، والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني ص ١٧١ بالهامش بكتاب أعمال الأعلام السابق لابن الخطيب. وراجع: د. حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته المجلد الأول، الجزء الأول ص ٢٥-٢٦، وص٤٢٦. ومعالم تاريخ المغرب والأندلس ص ٧٣ و ص١٤٨. والحلة السيراء لابن الأبار جـ١ ص١٩٣، تعليق المحقق الدكتور حسين مؤنس.

(٥) البكري: المغرب ص ٩٠. وابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٢.

(٦) جراوة: اسم موضع ببلاد المغرب، واسم قبيلة أيضًا. راجع: ياقوت: معجم البلدان جـ٢ ص١١٧، وراجع: ابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٣.

(٧) مطماطة: اسم مدينة بالقرب من مدينة فاس على نهر ملوية، وهي مدينة كبيرة كثيرة الزرع والضرع، ونهر ملوية نهر كبير من أنهار المغرب، ويفصل بين المغربين: الأوسط والأقصى. راجع: الحميري: الروض المعطار ص٥٤٣. وتسمى إحدى قبائل المغرب بهذا الاسم أيضًا.

وذكر ابن رسته[1] أن مملكة بني صالح في نكور في القرن الثالث الهجري تنتهي عند مدينة «مرجانة»[2]، وتقع على جبل وتحتها أنهار وأودية وعمارات، ثم يسير السائر منها إلى دولة الأدارسة، وأول حد مملكتهم بلد يعرف بـ «غميرة».

ومن الواضح أنَّ جُل هذه القبائل المحيطة بنكور، والتي نزل بعضها هذه المنطقة تنتمي إلى قبائل البرانس؛ فقبيلة «زُواغة» و«غمارة» و«مطامطة» من المصامدة البرانس[3]، و«مَسَطّاسة» من قبيلة «وَزْداجة» البرانسية[4]، وبالمثل «صنهاجة» و«أوربة»[5].

أمَّا قبائل زنانة وجراوة وبني وَرْيَاغَل فهي بترية[6]. ويبدو لي أن سبب كثرة قبائل البرانس عن البتر في هذه المنطقة؛ لكونها منطقة ساحلية؛ فمن المعروف أن البرانس كانوا ينتشرون على السواحل وفي الحواضر الكبرى، ويتعايشون بصورة أساسية من الزراعة، وكانوا على درجة من التقدم، إذ كانوا قد أخذوا ببعض المظاهر الحضارية بسبب احتكاكهم بالروم البيزنطيين واتصالهم عمومًا بعالم البحر المتوسط. أما قبائل البتر فكانوا من سكان المناطق الداخلية والبوادي، ويغلب عليهم الطابع البدوي، ويتعايشون متنقلين من مكان إلى آخر لرعاية المواشي وغيرها[7].

وقد اجتمعت بنكور قبائل: غمارة وصنهاجة على مؤسس إمارة نكور

---

(١) ابن رسته: الأعلاق النفيسة ص ٣٥٧.

(٢) لم أجدها عند ياقوت في معجمه الجغرافي ولا عند غيره من الجغرافيين المسلمين.

(٣) راجع: ابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٠ ويذكر هنا أن المقدسي سمى نكور ببلد غمار. المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٥٧.

(٤) راجع: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٨، وراجع ص ٤٩٥. وتنطق هذه القبيلة: (وزداجة) أو أزداجة.

(٥) راجع: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٥، وابن خلدون: العبر جـ١ ص١٣٩.

(٦) راجع: ابن خلدون: العبر جـ٦ ص١١٤. وللوقوف على أنساب البربر راجع ابن حزم: السابق ص ٤٩٥-٥٠٢.

(٧) راجع: د. عبد المجيد نعنعي: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ص١٢.

صالح بن منصور الحميري في نهاية القرن الأول الهجري «وأسلموا على يده، وقاموا بأمره»[1].

نسب أسرة بني صالح أمراء نكور:

لقب بعض المؤرخين[2] والجغرافيين[3] مؤسس إمارة نكور: صالح بن منصور بالحميري، في حين أن بعضهم لم يشر إلى هذه النسبة أو إلى غيرها عند الحديث عن «صالح بن منصور» منشئ هذه الدويلة أو عند الحديث عن أمرائها[4]. وصرح مؤرخون آخرون بأن هؤلاء الأمراء والملوك حميريون[5]، وأوضح ابن خلدون[6] أن صالح بن منصور حميري من عرب اليمن.

لكن ابن حوقل[7] عدّ بني صالح من القبائل الصنهاجية، وذكر ابن رسته[8] أن الأمير صالح بن سعيد أحد أمراء نكور اختلف في نسبه، فهو يدّعى أنه من حمير، «وأهل البلد (نكور) يزعمون أنه من أهل البلد نَفْزى[9]». غير أن ابن رسته نفسه وهو يتحدث عن نواحٍ من أحوال هذه المملكة الاقتصادية نسبها إلي اليمن فقال: «ومملكة صالح بن سعيد الحميري مسيرة عشرة أيام في عمارات وحصون وقرى ومنازل وزرع وضرع وخصب...»[10].

وأرى أن مؤسس هذه الإمارة يمني حميري كما صرّح بذلك معظم المؤرخين

---

(١) ابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٢.

(٢) راجع: البكري: المغرب ص ٩١.

(٣) راجع: الحميري: الروض المعطار ص ٥٧٧.

(٤) راجع: ابن القوطية: افتتاح الأندلس ص ١١٠، والمقريزي: المقفى جـ٤ ص٥٧٠، وابن عذارى: البيان المغرب جـ١ ص١٧٦.

(٥) لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الثالث ص ١٧١.

(٦) ابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٢.

(٧) ابن حوقل: صورة الأرض ص ١٠١.

(٧) ابن رسته: الأعلاق النفيسة ص ٣٥٧.

(٩) نَفزَة: اسم قبيلة من البربر البتر، واسم موضع بالمغرب. راجع: ياقوت: معجم البلدان جـ٥ ص٢٩٦، وشيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٣٨، والقزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٧٨.

(١٠) ابن رسته: السابق والصفحة نفسها.

والجغرافيين، أما ما ذُكر خلاف ذلك فسببه- عندي- أن المؤسس الأول للدولة: صالح بن منصور كان قد تزوج من قبيلة «صنهاجة» البربرية وأنجب من امرأته هذه ولديه: المعتصم وإدريس[1] تولى الأمر بنكور أولهما، ومن ذرية الأخير كل أمراء نكور حتى نهاية تلك الإمارة.

وهؤلاء الأمراء جميعًا عاشوا وسط قبائل البربر، وفي محيط قبيلة «صنهاجة» التي تنتمي إليها والدة: المعتصم وإدريس، في حين أن أخًا لهم ثالثًا يسمى «عبدالصمد» لم تحدد المصادر نسبة أمه عندما صرحت بنسب أم المعتصم وإدريس، ولم يتبوأ الأخ الثالث شيئًا من أمر نكور. أقول: إن منشئ إمارة نكور صالح بن منصور حميري، وابناه اللذان كان لأحدهما الحكم فترة من الزمن بنكور، واستمر الحكم في عقب الأخ الثاني ينتميان من ناحية الأم إلى المغرب، الأمر الذي جعل بعض الجغرافيين يعتبرون هذه الأسرة بربرية، لاسيما وأن أمراء نكور دانوا لمذهب أهل المغرب الفقهي، مذهب الإمام مالك[2]، وارتبطوا كباقي دول المغرب ببلاد الأندلس ارتباطًا وثيقًا، ويبدو أن صلتهم بموطن أبيهم الأول ومنشئ دولتهم صالح بن منصور الحميري قد انقطعت تمامًا، بل إنَّ المصادر لم تشر إلى أية علاقة لهذه الإمارة بالمشرق الإسلامي باستثناء قيام بعض أمور هذه الإمارة بأداء فريضة الحج[3]، فلعل ما ذكرته ينهض دليلاً على سبب نسبة بني صالح إلى المغرب، أو إلى قبيلة صنهاجة البربرية البرانسية.

البدايات الأولى لإمارة بني صالح في نكور:

يبدأ تاريخ إمارة بني صالح في نكور مع أحد الفاتحين العرب لبلاد المغرب: صالح بن منصور الحميري، الذي شارك في فتوحات المغرب الأولى[4] مع عقبة ابن نافع، ويبدو أن مشاركة صالح بن منصور كانت في حملة عقبة الثانية

(١) راجع: البكري: المغرب ص ٩٢، وابن عذاري: البيان المغرب جـ١ ص١٧٦ .

(٢) البكري: المغرب ص ٩٧ وابن عذاري: البيان المغرب جـ١ ص١٧٧، ولسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام قسم ٣ ص١٧٧، العبر جـ٦ ص٢١٤.

(٣) ابن عذاري: السابق جـ١ ص١٧٧، ولسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام قسم ٣ ص١٧٤ .

(٤) ذكر البكري (المغرب ص ٩١) أن صالح بن منصور دخل أرض المغرب في الافتتاح الأول لها.=

والأخيرة سنة اثنتين وستين للهجرة وفيها وصل إلى المحيط الأطلسي، وفتح كل ما قابله من مناطق هناك، ويبدو كذلك أن صالح بن منصور الحميري اليمني قد ساهم في فتح (نكور)، ومن ثمّ فقد استقر بها، ثم أقطعه إياها الوليد بن عبدالملك سنة إحدى وتسعين من الهجرة[1]. وتشير المصادر[2] إلى أنَّ صالح بن منصور الحميري قام بدور مهم في نشر الإسلام في منطقة نكور بين القبائل التي اجتمعت عليه مثل: قبائل غمارة، وصنهاجة، فأسلموا على يديه، وأيدوه وخضعوا له، وبخاصة أنه فيما يبدو كان دينًا، خلوقًا، ولذا عُرِفَ بالعبد الصالح.

وبالرغم من اجتماع القبائل البربرية عند نكور على شخص صالح بن منصور ومساعدته في قيادته لهم، وفتوحاته هناك، وإسلامهم على يديه، إلاَّ أنهم استثقلوا شرائع الإسلام، فتركوه، وأخرجوا صالحًا من «نكور»، وقدموا على أنفسهم رجلاً نفزيًا يسمى «داود» ويعرف بالرُندي، ثم تابوا ورجعوا إلى الإسلام، وقتلوا الرندي، وولوا صالحًا من جديد[3]؛ فاستمر أميرًا عليهم بنكور حتى وفاته سنة اثنتين وثلاثين ومائة من الهجرة[4]. وقد أشار البكري[5] إلى نوعٍ من أنواع تنظيم صالح بن منصور لبعض قبائل البربر، حيث أنزل نفرًا منهم موضعًا يحاذي مدينة نكور في الضفة الثانية من النهر، وكانوا يقيمون هناك سوقًا، ثم نقلوا بعد ذلك إلى المدينة الجديدة التي أسسها حفيده سعيد بن إدريس.

= وكذلك ذكر ابن عذارى (البيان المغرب جـ١ ص١٧٦)، وابن خلدون: (العبر جـ٦ ص٢١٢)، والحميري: (الروض المعطار ص٥٧٧) الأمر نفسه. أما لسان الدين بن الخطيب فإنه صرح بأن صالح ابن منصور الحميري توجه إلى المغرب في الفتح الأول الكائن على يد عقبة. أعمال الأعلام، القسم الثالث ص ١٧١.

(١) ابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٢.

(٣) البكري: السابق ص٩١، وابن عذاري: السابق ص ١٧٦، والحميري: الروض ص ٥٧٧، وابن خلدون: السابق جـ٦ ص٢١٢، ولسان الدين بن الخطيب: السابق ص١٧٢.

(٣) راجع: المصادر السابقة والصفحات نفسها.

(٤) ابن خلدون: السابق ج٦ ص٢١٢.

(٥) البكري: السابق ص ٩٢.

وقد تولى المعتصم بن صالح بن منصور أمر نكور بعد وفاة والده «وكان شهمًا، شريف النفس، كثير العبادة، وكان يلي الصلاة والخطبة لهم بنفسه»[١] . ثم ملك أخوه إدريس بن صالح بن منصور لمدة ثلاث سنوات[٢] .

وفي ولاية إدريس بن صالح بدئ في بناء مدينة على الضفة الأخرى لنهر نكور وسماها باسم نكور أيضًا، لكنه توفى قبل إتمامها سنة ثلاث وأربعين ومائة من الهجرة[٣] .

تعقيب:

تعد مدينة نكور من المدن المغربية القديمة[٤]، وقد ساهم صالح بن منصور الحميري في فتحها إبان فتوحات عقبة بن نافع[٥] الأخيرة لبلاد المغرب سنة اثنتين وستين للهجرة، ويبدو أن صالحًا قد وصل إليها فاتحًا مرة أخرى زمن الوليد بن عبدالملك، بدليل ما ذكره البكري[٦] من أن صالحًا افتتحها زمن الوليد بن عبد الملك «ودخل أرض المغرب في الافتتاح الأول»، ولما اقتطع صالح أرض نكور اجتمع إليه قبائل غمارة وصنهاجة، وأسلموا على يده «وقاموا بأمره» وتزوج من صنهاجة «وكثر نسله»[٧] ، ويبدو أن صالحًا كان شديد التمسك بالإسلام، حريصًا على تطبيقه تطبيقًا كاملاً، قويًا في الحق، ولذا حاولت بعض القبائل البربرية التنصل من الإسلام، بينما بقي البعض على إسلامه[٨] لحسن فهمه واستيعابه لقواعد الإسلام وأصوله ومبادئه، ويبدو أنه قد حدثت مناقشات ومحاورات بين الفريقين، وأثمرت تلك المناقشات في عودة السواد الأعظم إلى

---

(١) ابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٢ .

(٢،٣) ابن خلدون: السابق والصفحة نفسها.

(٤) راجع الحميري: الروض المعطار ص ٥٧٧ .

(٥) راجع: لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الثالث ص ١٧١، والحميري: الروض المعطار ص ٥٧٧ .

(٦) البكري: المغرب ص ٩١، وراجع: ابن عذاري: البيان المغرب جـ١ ص١٧٦ .

(٧) ابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٢ .

(٨) راجع: الحميري: الروض المعطار ص ٥٧٧ .

الإسلام، ويفهم هذا من قول ابن خلدون: «ثم تابوا وراجعوا الإسلام وراجعوا صالحًا؛ فأقام فيهم إلى أن هلك»[1] . وتشير الدلائل إلى ما كان يتمتع به صالح بن منصور من طاعة وقبول بين القبائل البربرية حول نكور، وإلى ما حظي به أبناؤه من بعده من مكانة في نفوس البربر هناك؛ بسبب حسن سيرة صالح بن منصور وبنيه، وأهمية دورهم، وعظيم أثرهم في تاريخ المغرب الأقصى عامة، وتاريخ نكور خاصة.

أولاً : أبرز الأحداث السياسية في نكور في عهد بني صالح :

نصت المصادر التاريخية على أحد عشر أميرًا من بني صالح تولوا الحكم في نكور بعد وفاة إدريس بن صالح سنة ثلاث وأربعين ومائة من الهجرة، وكان آخر هؤلاء: «جرثم[2] بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن سعيد بن إدريس بن صالح» ثم ذكرت هذه المصادر أن الإمارة استمرت في بنيه إلى أن غلب عليهم «أزداجة»[3] المتغلبين على «وهران» فزحف أميرهم يعلى بن أبي الفتوح الأزداجي على نكور سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م أو سنة ٤١٠هـ/ ١٠١٩م في رواية[4] «فغلبهم على نكور وخربها، وانقرض ملكهم بعد ثلاثمائة سنة وأربع عشرة سنة من لدن ولاية صالح، وبقيت في بني يعلى بن أبي الفتوح وأزداجة

---

(١) ابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٢ .

(٢) ورد اسم جرثم عند البكري: المغرب ص ٢٩٩، وراجع: لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الثالث ص ١٧٩ . بينما ورد هذا الاسم عند ابن خلدون: (العبر جـ٦ ص٢١٤) باسم «جريح».

(٣) قبيلة أزداجة أو وزداجة إحدى قبائل المغرب البرانسية، وقد اجتمعت هذه القبيلة الكثيرة العدد على يحيى بن الفتوح الأزداجي الذي استولى على نكور سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م وحكمها حتى سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م، وتولى أبناؤه حكمها من بعده حتى سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م. راجع ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٥، و ص ٤٩٨، وابن خلدون: العبر جـ٦ ص ٢١٤، ولسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الثالث ص ١٧٩ وذكر أن قبيلة لمتونة إحدى القبائل التي أقامت دولة المرابطين غزت المدينة سنة ٤٦٠هـ ودمرتها، وتفرق أهالي نكور في البلاد.

(٤) البكري: المغرب ص٩٩، وراجع: ابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٤.

إلى أعوام ستين وأربعمائة»[1] . وللبكري[2] نص مهم باعتباره معاصرًا للأحداث التاريخية في تلك الفترة (توفى البكري سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م ذكر فيه أن نكور بأيدي ذرية يعلى بن الفتوح الآن، وذلك في سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م.

والملاحظ على أمراء نكور وأبنائهم من بني صالح في هذه الفترة كلها أنهم استمروا على سياسة أسلافهم من حسن السيرة، وحميد الأفعال؛ من ذلك وصف عبد الرحمن بن سعيد بن إدريس بأنه كان فقيهًا بمذهب الإمام مالك، وأنه حج أربع مرات، وعبر إلى الأندلس للجهاد، واستشهد هناك مجاهدًا الإسبان النصارى[3] . ومن ذلك وصف أخيه الأمير صالح بن سعيد بأنه سار على مذهب سلفه في الاستقامة والاقتداء[4] . ووصف الأمير صالح بن سعيد ابن صالح بن سعيد بن إدريس بأنه لم يزل على هدي سلفه من الاقتداء والصلاح[5] ، وبأنه لم يزل على السنة والجماعة والتمسك بمذهب مالك، وأنه كان وابنه سعيد «يصليان بالناس، ويخطبان، ويحفظان القرآن الكريم»[6] .

والحقيقة أن هذه الأوصاف السابقة من الاستقامة والتمسك بالقرآن الكريم، والسنة المطهرة وبالإسلام عامة كانت متوافرة ومحققة في «آل صالح» بشهادة المؤرخ البكري[7] . ولم تكن هناك صراعات ومنازعات بين أفراد بيت بني صالح على الحكم، وحدث أن هوجمت نكور سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م من قبل الفاطميين- وسيأتي تفصيل ذلك- ولجأ من نجا من «آل صالح» إلى مالقة وبجانة بالأندلس.

---

(١) ابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٤، وراجع: البكري: المغرب ص ٩٩ وذكر أن بني جرثم أخرجوا من جميع بلاد نكور. وراجع أيضًا: لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الثالث ص ١٧٩ حيث ذكر أن بعض أولاد وذرية صالح قتل بنكور، بينما نفى البعض الآخر خارجها.

(٢) البكري: المغرب: السابق والصفحة نفسها.

(٣) البكري: المغرب ص ٩٢ وراجع: ابن عذاري: البيان المغرب جـ١ ص١٧٧ .

(٤) ابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٢ .

(٥) ابن خلدون: السابق جـ٦ ص٢١٣ .

(٦) البكري: السابق ص٩٧، وراجع: لسان الدين بن الخطيب: السابق نفسه ص ٩٧ .

(٧) البكري: السابق ص ٩٧ .

وبعد ستة أشهر ضعف النفوذ الشيعي في نكور، فرحل هؤلاء الأمراء من بني صالح، وأبرزهم إدريس والمعتصم، وصالح، أولاد سعيد بن صالح من بلاد الأندلس إلى نكور «ثقة بمحبة رعيتهم لهم، وميلهم إليهم، فاتفقوا على ركوب البحر في مراكب مختلفة، فمن وصل منهم قبل صاحبيه، فالولاية له» وركبوا السفن في ليلة واحدة، وفي وقت واحد، ووصل أصغرهم سنًا: صالح ابن سعيد بن صالح إلى مرسى نكور قبل أخويه، وتسامع البريد بقدومه فتسارعوا إليه من كل جانب، وعقدوا له الإمارة[1] .

والموقف السابق يدلل على مكانة بني صالح في نفوس رعيتهم من البربر بنكور من ناحية، ويظهر ما كان يتمتع به أفراد البيت الحاكم بنكور من ترابط وتآلف وبعدٍ عن الصراعات السياسية من ناحية أخرى.

وقد حدث خلاف بين بني صالح على الحكم ثلاث مرات: المرة الأولى سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م في أثناء حكم سعيد بن صالح حيث طالبه الصقالبة بالعتق، فبين لهم أنهم كالأحرار، لا يُوَرثُون ولا يطالبون بمغارم وأموال، وهم جند الإمارة، فألحوا عليه في ذلك، فرفض، فناله منهم جفاء وغلظة، وبايعوا أخاه عبيد الله وعمه الرضا المكنى بأبي عليّ، وزحفوا بهما إلى قصر الأمير سعيد الذي حاربهم حتى هزمهم، وعاقب الأمير سعيد أخاه وعمه بالحبس، بينما قتل من خرج معهما من بني عمه[2] .

ومن سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م ثار عبد السميع بن حرثم بن إدريس بن صالح على أمير نكور موسى بن المعتصم المعروف بابن رومي، وخلعه وأخرجه من نكور، فلحق موسى بالأندلس ونزل بجانة بأهله وولده ومعه أخوه هارون بن رومي، ونزل بمالقة عمه جرثم بن أحمد، ومنصور بن الفضل[3] . ويذكر

(١) البكري: المغرب ص ٩٦-٩٧. وابن عذاري: البيان المغرب جـ ١ ص١٨٠، وابن خلدون: العبر جـ١ ص ٢١٣ .

(٢) البكري: السابق ص ٩٣-٩٤، وابن عذاري: السابق ص ١٧٧-١٧٨، وابن خلدون: السابق ص ٢١٢-٢١٣ .

(٣) البكري: السابق ص ٩٨-٩٩ ، وابن خلدون: السابق ص ٢١٤.

ابن خلدون[1] أن بعض أهل بيت بني صالح نزل «المرية» وبعضهم نزل مالقة. وقد انتفض أهل نكور على عبد السميع وقتلوه. كما خرج إدريس ابن سعيد بن إدريس على أخيه صالح، وانهزم صالح، وانتهب إدريس معسكر أخيه، وحاول اقتحام نكور فلم يتمكن، بينما استطاع أخوه الأمير صالح أن يتحكم في أمور إمارته، وحبس صالح أخاه إدريس وقتله، ورأت مكناسة هذا الفعل؛ فاستدعت من مالقة: جرثم بن أحمد بن زيادة، وبايعوه[2] سنة ٣٣٦هـ.

وفيما عدا ذلك فإن المصادر أشارت إلى تكاتف وتآزر أفراد البيت الحاكم من بني صالح بنكور ومساندة بربرها لهم.

ويمكن الوقوف على أهم وأبرز الأحداث التاريخية في إمارة نكور خلال تبعيتها لبني صالح[3]. من خلال ما يأتي من علاقات سياسية خارجية، ومواجهات عسكرية لأمراء بني صالح ضد خصومهم.

١- التصدي لهجوم النورمان على نكور:

تعرضت نكور سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م لغارات النورمان المعروفين بالفيكنج وبالمجوس والذين كانوا يسكنون شبه جزيرة سكندناوة وشبه جزيرة الدانمارك، وهاجموا لأول مرة بلاد الأندلس في عهد عبد الرحمن الأوسط الأمير الأموي (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)، وأغاروا على شرق أوربا، وإنجلترا وأيرلندا وألمانيا وفرنسا منذ أواخر القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي[4]. وجاءت هجمات النورمان على نكور ضمن هجماتهم على بعض مناطق الشمال الإفريقي، وتمكن النورمان سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م من اقتحام نكور، وبذل سعيد ابن إدريس غاية جهده لإخراج النورمان منها بعد استباحتها وإقامتهم بها لمدة

---

(١) ابن خلدون: السابق والصفحة نفسها.

(٢) البكري: السابق ص ٩٢-٩٣.

(٣) راجع في آخر البحث جدولاً بنسب حكام نكور وفترة حكم بعضهم، وتجدر الإشارة إلى وجود بعض الخلط في مصادرنا حول فترات حكم بعض أمراء نكور.

(٤) راجع د. سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى جـ١ ص٢١٠-٢٤١.

ثمانية أيام، وأسر بعض نساء من بيت بني صالح، منهن: ابنتا وافق بن المعتصم ابن صالح، اللتان فداهما الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م)، وقد استطاع الأمير سعيد بن إدريس بمعونة صادقة من القبائل البربرية البرانسية هناك أن يطردهم من نكور التي تأثرت كبيرًا بهذه الإغارة النورمانية العنيفة[١].

ولاشك في أن إغارة النورمان البحرية[٢] على نكور قد بدأت من ثغريها على البحر المتوسط أو من أحدهما، حيث نزلت الأساطيل النورمانية ثغر نكور، ومنه غزت نكور التي كانت قد استكملت عمارتها قبل الغزو النورماني لها؛ فترك الغزو النورماني أثرًا سيئًا على أحوالها العمرانية والاقتصادية بصفة خاصة.

٢- مقاومة الخطر الشيعي:

تعرضت نكور لخطر الفاطميين الشيعة أكثر من مرة، وكان هذا الخطر أكبر من إمكانات هذه الإمارة الصغيرة التي قاومت الغزو الشيعي بكل ما أوتيت من قوة؛ لكن الغلبة كانت للفاطميين الشيعة في كل مرة، مع استشهاد بعض أمراء بني صالح، وتدمير نكور وانتهابها في كل غزوة فاطمية على نكور.

وبدأت صلة الفاطميين ببني صالح سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م حيث كتب فيها عبيد الله المهدي (٢٩٧-٣٢٢هـ/ ٩٠٩-٩٣٣م) إلى الأمير سعيد بن صالح يطلب إليه الدخول في طاعته، والتمذهب بمذهبه الشيعي الإسماعيلي، وذيل كتابه بأبيات شعرية تتضمن ترغيبًا وتهديدًا ووعيدًا، فرد عليه شعرًا شاعر بني صالح الطليطلي: «الأحمس» بأمرٍ من الأمير يوسف بن صالح أخي أمير بني

---

(١) راجع: ابن الأثير: الكامل جـ٧ ص٩٠، وراجع ص ١٦-١٨، وللبكري: المغرب ص ٩٢، وابن عذاري: البيان المغرب جـ١، ص ١٧٦، والحميري: الروض المعطار ص ٥٧٧، ولسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الثالث ص ١٧٣-١٧٤، وابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٢.
وراجع: ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص ١١٠.

(٢) راجع: ابن خلدون: السابق والصفحة نفسها.

صالح سعيد بن صالح، وحمل هذا الرد اتهامات للمهدي بالجهل والنفاق والكذب والظلم؛ ولم يطل رد المهدي على هذه الإهانة الصادرة من إمارة بني صالح بنكور، وإنما سارع بإرسال قائده «مصالة بن حبوس» من «تاهرت» في أواخر السنة الماضية، وتلقاه صاحب نكور سعيد بن صالح قبيل نكور بموضع يسمى «نسافت» وحاربه ثلاثة أيام بمن معه من بربر نكور، وتمكن من الانتصار عليه في أول الأمر، لكن المعركة بين الجانبين انتهت بمقتل سعيد بن صالح- وغيره من آل بني صالح- وهزيمة جيشه، وأسر عدد من أفراد أسرته، وانتهاب مدينة نكور، وسبى من بها من نساءٍ وذرية، بينما فر من نجا بنفسه من بني صالح عبر مرسى نكور «المزمة» إلى مالقة وبجانة، فأكرمهم الأمير الأموي عبد الرحمن بن محمد الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) وخيرهم بين المقام في مالقة أو أية مدينة أندلسية أخرى، فاختاروا مالقة لقربها من بلدهم ورجائهم في العودة إليها[١] .

ومكث قائد الفاطميين «مصالة بن حبوس» بنكور ستة أشهر عاد بعدها إلى ولايته في «تاهرت» مستخلفًا على نكور أحد رجاله، ولم يتمكن القائد الجديد الذي تسميه المصادر «دلدل» من فرض كلمته على أتباعه من الشيعة، فتركه معظمهم وبقي في عددٍ قليل من رجاله، ووصلت الأخبار بهذا الأمر إلى مالقة؛ فأسرع الفارون من آل صالح إلى العودة إلى نكور؛ وسبقهم إليها صالح بن سعيد بن صالح، وتمكن من هزيمة ما تبقى من جيش الفاطميين وقتل زعيمهم «دلدل»، وكتب بأخبار النصر والفتح إلى الأمير الأموي عبد الرحمن الناصر، فأمده بالآلات الحربية والدروع، وأهداه الهدايا المختلفة، ووصل كل من كان بمالقة إلى نكور[٢].

---

(١) راجع: البكري: المغرب ص ٩٤-٩٥، وابن الأبار: الحلة السيراء جـ١ ص ١٩٣، وابن عذاري: البيان المغرب جـ١ ص ١٧٨-١٧٩ ، ولسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، قسم ٣ ص١٧٤-١٧٧، وابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٣-٢١٤ . وراجع: المقريزي: المقفى جـ٤ ص٥٧٠ .

(٢) راجع: البكري: المغرب ص ٩٦-٩٧، وابن عذاري: البيان جـ١ ص١٨٠، وابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٣. ولسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص ١٧٦-١٧٧.

وفي سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م يتجدد الهجوم الشيعي على نكور مرة أخرى بأمر من القائم الفاطمي(٣٢٢-٣٣٤هـ/ ٩٣٣-٩٤٤م) وتحت إمرة وقيادة «صندل»، وجرت مراسلات بين القائد الفاطمي «صندل» وبين الأمير النكوري إسماعيل بن عبد الملك، أمر فيها القائد الفاطمي الأمير النكوري بالدخول في طاعة العبيديين، والمسير إليه للانضواء تحت لوائه، وإعلان التبعية له، فلما رفض إسماعيل اقتحم العبيديون المدينة وقتلوه مع أكثر أصحابه، وأسروا نساءه وقرابته وولديه الطفلين، وولى القائد الفاطمي على نكور أحد أتباعه ويدعى «مَرمازوا» الكتامي[١]، بينما واصل سيره نحو «فاس» التي كانت قد خضعت للعبيديين قبل ذلك التاريخ[٢] بنحو خمس عشرة سنة، بينما نُفى من كان تبقى من الأدارسة إلى قلعة «حجر النسر» شمالي المغرب.

وقد تمكن موسى بن المعتصم بن صالح بن منصور المعروف بابن رومي من استعادة نكور وطرد فلول الفاطميين منها، وساعده في ذلك أهلها وبنو يصليتن أهل جبل أبي الحسن لمنطقة نكور، وكتب بهذا النصر الجديد إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر[٣].

وبذلك تنتهي إغارات الفاطميين على نكور دون أن تحقق الغاية منها، والهدف الذي أرادته وهو نشر المذهب الشيعي بنكور وقبول الهيمنة الشيعية على القبائل بنكور، وفرض طاعة العبيديين على المنطقة بأسرها. وقد ضحى أمراء بني صالح بأنفسهم وأهليهم للحيلولة دون تحقيق هدف الفاطميين.

٣- مواجهة المغامر المكناسي:

كانت نكور قد تعرضت سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م لعدوان مغامر ينتسب إلى

---

(١) راجع البكري: السابق ٩٨، وابن عذاري: السابق جـ١ ص١٨٠، وابن خلدون: السابق جـ٦ ص٢١٣-٢١٤، ولسان الدين بن الخطيب: السابق نفسه ص ١٧٨.

(٢) راجع: ابن عذاري: السابق جـ١ ص١٨٣، وص٢٠٩، وابن خلدون: العبر جـ٦ ص١٣٤، وص٢١٧، والوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية جـ٢ ص٢٥.

(٣) راجع البكري: المغرب ص ٩٨، وابن خلدون: العبر جـ٦ ص ٢١٤، وص٢١٧، ولسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام قسم ٣ ص١٧٨.

«مكناسة» البترية، واتصف بالمراوغة وتغيير الانتماءات والولاء، وهو موسى بن أبي العافية، وبدأ انتماءه وولاءه للفاطميين، حتى أصبح هو ومصالة بن حبوس من أعظم القواد المخلصين للعبيديين، وولى الخليفة المهدي مصالة «تاهرت» والمغرب الأوسط، بينما أسند إلى الأمير المكناسي «سائر ضواحي المغرب وأمصاره بالإضافة إلى تسول وتازا»[1] . وعظم ملك ابن أبي العافية بالمغرب سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م بقضائه على ملك الأدارسة بفاس[2] غير أن موسى بن أبي العافية غيّر من ولائه سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م فكاتب الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر يعرض عليه موالاته ومناصرته وخدمته وطاعته، والعمل له في منطقة المغرب الأقصى، فرضي الناصر بهذا العرض وأمده بالأموال والهدايا، فبدأ ابن أبي العافية يعمل لحساب الخليفة الناصر بين القبائل البربرية بالمغرب[3]. وبلغ الفاطميين فعل ابن أبي العافية؛ فبعث المهدي قائده ابن أخي مصالة: حميد المكناسي صاحب تاهرت ليؤدبه على فعلته[4] .

وقبل تغيير انتماء ابن أبي العافية بسنتين ذكرت المصادر[5] إغارته الوحشية على نكور سنة ٣١٧هـ/ ٨٢٩م ولم توضح أكان يعمل لحسابه في هذه الغزوة العنيفة، أم كان لا يزال يعمل للفاطميين؟

على أية حال فإن ابن أبي العافية داهم نكور في السنة الماضية وتصدى له صاحبها المؤيد بن عبد البديع بن إدريس بن صالح، وتحمل الحصار المحكم على نكور، وفي نهاية الأمر اقتحمها ابن أبي العافية واستباحها وانتهبها وخربها،

---

(١) ابن خلدون: السابق جـ٦ ص١٣٤.

(٢) للوقوف على أخبار موسى بن أبي العافية وأولاده، راجع: ابن خلدون: السابق ص١٣٤-١٣٦، وابن عذاري: البيان المغرب جـ١ ص٢٥٥.

(٣) راجع: ابن عذاري: السابق ص١٩٩، وراجع: ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص٢٩٠، وراجع: الفاسي: الأنيس المطرب ص ٨٤-٨٥.

(٤) راجع: ابن خلدون: العبر جـ٦ ص ١٣٥-١٣٦، وراجع: ابن عذاري: السابق جـ١ ص٢٠١ .

(٥) راجع: البكري: المغرب ص ٩٧، وابن عذارى: البيان المغرب جـ١ ص١٩٤، ولسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، قسم ٣ ص١٧٧ .

وقتل صاحبها المؤيد، وبلغ منها ما لم يبلغ بعضه رفيقه على درب خدمة الفاطميين مصالة بن حبوس سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م[١].

ولم يكتف ابن أبي العافية بما فعله بنكور وأهلها في السنة السابقة، وإنما قام بالوقيعة بين أمويي الأندلس وبني صالح، وكانت العلاقة بين الجانبين منذ قيام إمارة بني صالح بنكور على أحسن حال- وسيأتي بيان ذلك- إلاّ أن ابن أبي العافية أوقع بين هذه الإمارة وبين الخليفة الناصر، فكتب إليه بأن أصحاب نكور أضر عليه من الفاطميين، وأنهم سند للفاطميين، وحتى يؤكد إخلاصه للخليفة الناصر قام في سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م باقتحام نكور من جديد[٢]، ولم تبين المصادر أثر هذه الحملة على نكور، كما حدث في الحملات السابقة عليها.

وهكذا تنوعت مشارب ومآرب الطامعين في نكور، وتأثرت نكور تأثراً بالغًا من الغزوات المتلاحقة عليها، لكنها كانت تشهد تعميراً وبناءً بعد كل اعتداء وتدمير، وتشهد مزيداً من إجماع بربرها على بني صالح ودفاعهم عنهم وعن بلدهم.

تعقيب:

١- بذل أمراء بني صالح بنكور كل ما يملكونه من قوة في سبيل الحفاظ على أمن واستقرار وسلامة إمارتهم، وتحملوا الكثير من العنت والأذى في سبيل تحقيق هذا الهدف العظيم، واستشهد بعضهم وهم يدفعون الخطر عن بلادهم، ويحافظون على المذهب السني في منطقة حكمهم، وامتاز هؤلاء الأمراء بالإخلاص الشديد للمذهب السني، ومن ثم فلا استغراب إذا وجدنا المصادر[٣] تعلق على استعادة أمراء نكور لإمارتهم بها بعد غزو الفاطميين لها بذكرها أن آل صالح لم يزالوا على مذهب أهل السنة والجماعة، والتمسك بمذهب الإمام

---

(١) راجع: ابن حبان: المقتبس جـ٥ ص٣٧١، وص٣٧٢.

(٢) ابن حيان: السابق نفسه ص ٣٨٢، وقارن هذا بابن عذارى: البيان المغرب جـ١ ص٢٠٥، والفاسي: الأنيس المطرب ص٨٤.

(٣) راجع: البكري: المغرب ص٩٧، وابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٣و٢١٤.

مالك في الفقه. وهذا معناه أن محاولات العبيديين لنشر فكرهم قد باءت بالفشل الذريع بسبب مناهضة بني صالح لمذهبهم، وصدق عون أمويي الأندلس لبني صالح، وحسن طاعة البربر بهذه الإمارة لأمرائها.

٢- تمكن أمراء بني صالح من إعادة الحياة الطبعية إلى إمارتهم بعد كل اعتداء عليها- وسيأتي بيان ذلك- وهذا يدل على كفاءتهم الإدارية، وعظم اهتمامهم بالعمران والحضارة.

٣- قدمت الأندلس كل عون ومساعدة لبني صالح؛ بداية من استضافتهم عند الأزمات والمعارك والفتن، ومروراً بمساعدتهم على العودة إلي نكور ودفع الأموال لإطلاق الأسارى من آل صالح، ونهاية بتقديم الأسلحة اللازمة للإمارة، وبذل الأموال لهذه الإمارة ، فضلاً عن الدعم الأدبي والمعنوي لهذه الإمارة.

٤- علاقات بني صالح بأمويي الأندلس:

ارتبطت إمارة نكور على عهد حكم بني صالح بأمويي الأندلس بعلاقات وثيقة قوية، حظيت نكور من خلالها بدعم كامل ومستمر، وتأييد واضح ظاهرمن الأمويين، ومساعدات قيمة لبني صالح، فضلاً عن وجود بعض العلاقات الاقتصادية بين الإمارة الصغيرة والأمويين بالأندلس. ولاشك في أن التصدي لانتشار المذهب الشيعي جعل هذه العلاقة حتمية وضرورية، وكذلك حاجة الأمويين بالأندلس إلى حليف بالمغرب يستطيع حماية شواطئ الأندلس ومرافئها الجنوبية أو على الأقل يحول دون تهديد الأندلس من هذه الجهة، ويقف حجر عثرة أمام أعداء الأمويين بالأندلس.

وبدأت علاقة نكور بالأمويين إثر قيام الدولة العباسية سنة اثنتين وثلاثين ومائة حيث فرّ عبد الرحمن بن معاوية بن هشام من العباسيين إلى الأندلس، ويذكر ابن رسته[1] أنه جاز من نكور، ومن معه من آل مروان إلى جزيرة

(١) ابن رسته: الأعلاق النفيسة (ص٣٥٧).

الأندلس هربًا من بني العباس. وهذا النص المهم الذي لم أجده إلا عند ابن رسته يشير إلى أنه ربما وجد عبد الرحمن بن معاوية ومن معه ترحيبًا وحسن استقبالٍ من بني صالح، وربما وجد عبد الرحمن بن معاوية عونًا ومساعدة؛ ومن ثم احتفظ بنو أمية بهذا الجميل وردوه لآل صالح.

وبُدئ رد الجميل في أثناء إمارة عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م) حيث ذكر ابن القوطية[١] خبرًا انفرد به، فيه أن النورمان «توجهوا إلى ناكور، وأسروا جدّ ابن صالح، وفداه الأمير عبدالرحمن ابن الحكم وهي يد بني أمية عند بني صالح». وهذا الهجوم النورماني سابق للهجوم النورماني سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م على نكور الذي سبق الحديث عنه.

وفي الهجوم النورماني الأخير على نكور سُبيت ابنتان لأحد أفراد بيت بني صالح وهو: «وافق بن المعتصم بن صالح» وابنتاه هي: «أمة الرحمن» و«خنعولة» وفداهما الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط[٢].

كما استقبل الأمير عبد الرحمن الناصر سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م من نجا من بني صالح من مذبحة مصالة بن حبوس، وأمر الأمير عبد الرحمن بإكرامهم، وصلتهم بالصلات الجزلة وبالغ في الاهتمام بهم[٣]، وعندما تمكن هؤلاء من العودة إلى بلدهم وطرد الشيعة منها أمدهم بالأكسية، والحلي، والدروع، «وجميع السلاح، حتى عوضهم الله عز وجل أكثر مما زال عنهم؛ فتوطد الملك لصالح بن سعيد»[٤].

كذلك فإن أي نصرٍ يتحقق لبني صالح، فإنهم كانوا يُعلمون به أمويي

---

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس (ص١١٠).

(٢) البكري: المغرب ص ٩٢.

(٣) راجع: البكري: المغرب ص٩٦، وابن عذاري: البيان المغرب، جـ١ ص١٧٥، وابن خلدون: العبر ج٦ ص٢١٣، ولسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام قسم ٣ ص١٧٦.

(٤) راجع: البكري: السابق ٩٧، وابن عذاري: السابق جـ١ ص١٨٠، وابن خلدون: السابق جـ٦ ص٢١٣، ولسان الدين بن الخطيب: السابق ص١٧٧.

الأندلس مباشرة؛ مدللين عليه بإرسال رءوس قواد أعدائهم، ليشاركهم الأندلسيون فرحة وبهجة النصر[1] .

هذا بالإضافة إلى استقبال الأندلس لبعض أفراد آل صالح عند حدوث فتن داخلية وخلافات سياسية بين آل صالح أنفسهم[2] .

ومعنى هذا أن الأندلس كانت تمثل بتعبيرنا الحديث عمقًا استراتيجيًا لنكور، يلجأ إليها آل صالح عند حدوث أية مشاكل واضطرابات وهزائم وفتن ومنازعات؛ ومنها يعودون من جديد إلى ملكهم.

وكما شاركت الأندلس في هموم نكور، فإن بعض أمراء نكور شاركوا الأندلسيين الجهاد والفتوحات في الشمال النصراني؛ فقد غزا صالح بن سعيد بن إدريس بالأندلس[3] ، وكذلك فعل عبد الرحمن بن سعيد بن إدريس، واستشهد هناك بالأندلس[4] .

وفضلاً عن العلاقات السياسية السابقة؛ فإن هناك علاقات اقتصادية بين نكور والأندلس، أشار إليها ابن الخطيب بقوله عن نكور: «وكانت مدينة عظيمة حافلة، تقصدها مرافق البحر من مرسى المرية»[5] . ووردت إشارات في «المقتبس»[6] عن طرائف وميرة وتحف نكور التي يُرْسلُ بها إلى الأندلس.

كما أن هناك إشارات إلى علاقات ثقافية بين نكور والأندلس، أثنى من خلالها بعض العلماء الأندلسيين على بعض علماء نكور[7] .

---

(١) راجع: البكري: السابق ص ٩٨، ولسان الدين بن الخطيب: السابق ١٧٨ .

(٢) راجع: البكري: السابق ٩٨-٩٩، وابن خلدون: السابق جـ٦ ص٢١٤، ولسان الدين بن الخطيب: السابق ص ١٧٨.

(٣) راجع: لسان الدين ابن الخطيب: السابق ص ١٧٤.

(٤) راجع: البكري: السابق ص ٩٢، وابن عذاري: البيان المغرب ج١ ص١٧٧ .

(٥) لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، قسم ٣ ص ١٧٢.

(٦) ابن حيان: المقتبس جـ٥ ص٣٧٢ .

(٧) راجع: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، القسم الأول ص١١٣، والضبي: بغية الملتمس ص٢٦٧، والسيوطي: بغية الوعاة جـ١ ص ٥٣٨. وتجدر الإشارة هنا إلى أن شاعر آل صالح كان أندلسيًا من طليطلة. راجع: البكري: المغرب ص ٩٥ .

وأعتقد أن العلاقات السابقة كانت أكثر قوة، وأشد متانة، وأبعد أثرًا مما عبرت عنه المصادر من إشارات قليلة سريعة هنا أو هناك.

ثانيًا: بعض مظاهر الحضارة بنكور في عهد بني صالح:

تضمنت مصادرنا إشارات خاصة ببعض مظاهر الحضارة بنكور في عهد بني صالح، بعض هذه الإشارات خاص بالبناء والتعمير، وبعضها خاص بالزراعة، وبعضها متصل ببعض الصناعات، وبعضها متصل ببعض المظاهر الاجتماعية.

وفيما يتصل بالبناء والعمران فإن توسعة نكور عمرانيًا بدأ مع إدريس بن صالح حاكمها الثالث حيث شرع في البناء على الضفة الأخرى لنكور لتتسع هذه المدينة، ويعبر عن ذلك ابن خلدون[1] بقوله: «فاختط مدينة نكور في عدوة الوادي، ولم يكملها، وهلك سنة ثلاث وأربعين ومائة». ولما خلفه ابنه سعيد ابن إدريس فإنه أكمل عمارة نكور[2] ونزلها[3]، أي: اتخذها حاضرة لملكه، ونقل إليها البربر[4]، فأصبحت مدينة عظيمة[5].

وقد قام أبو أيوب إسماعيل بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن سعيد بإعادة بناء المدينة القديمة «نكور» بعد سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م «فبنى المدينة القديمة التي أسسها صالح بن منصور وعمرها، وأعاد السوق فيها وسكنها إلى سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م»[6]، وأقام إسماعيل سورها، وزاد من تحصينها[7].

ومعنى هذا أن صالح بن منصور حاكم نكور الأول كانت له تجديدات وإعمار لنكور القديمة، وأن إسماعيل اتخذها حاضرة له بعض الوقت، تاركًا المدينة الجديدة التي بناها سعيد بن إدريس على الضفة الأخرى لنهر نكور.

ولدينا إشارة خاصة بأحد المساجد التي بنيت بنكور، فلقد بنى سعيد بن

---

(١) ابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٢.

(٢) راجع: البكري: المغرب ص٩١، وراجع ابن الخطيب: السابق ص١٧٢، والحميري: الروض المعطار ص ٥٧٧.

(٣) ابن خلدون: السابق جـ٦ ص٢١٢.

(٤) البكري: السابق ص ٩٢.

(٥) ابن الخطيب: السابق ص١٧٢.

(٦) البكري: المغرب ص ٩٧ - ٩٨. وراجع: ابن خلدون: العبر جـ٦ ص٢١٣.

(٧) ابن الخطيب: أعمال الأعلام قسم ٣ ص١٧٧.

صالح مسجداً على نهر «نميس» أحد النهرين التي تقع نكور عليهما، وجاء هذا المسجد على صفة مسجد الإسكندرية تماماً[١] .

أما عن الزراعة بنكور، فلقد وصفت هذه المدينة بكثرة البساتين، وطيب الفواكه؛ لاسيما الكمثرى والرومان «فليس يوجد مثلهما في بلد»[٢] . ولبعض شعراء نكور شعر في فاكهتها، وخاصة الكمثرى والرمان، ورد في «المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب»[٣] . وقد عبّر ابن رسته عن الأحوال الزراعية بنكور بقوله: «ومملكة صالح بن سعيد الحميري مسيرة عشرة أيام في عمارات وحصون وقرى ومنازل وزرع وضرع وخصب»[٤] .

وكان خشب الأرْز معروفاً على نطاق واسع بنكور، ومنها صنعت أعمدة مساجدها؛ لكثرة هذا الخشب بنكور[٥] .

واحتوت مصادرنا إشارات أخرى حضارية عن الأرحاء المنصوبة على نهري نكور[٥]، وعن أسواق نكور العامرة[٦]، وعن سورها الذي كان من اللبن[٧]، وعن حماماتها الكثيرة[٨] ، وعن أبوابها الأربعة ومنها باب عُرف بباب اليهود[٩]، ويفهم من هذه الإشارة وجود بعض اليهود عند هذا الباب؛ فعرف باسمهم.

كما وردت إشارة عن الخيول التي كانت تربي بنكور[١٠] ، وترى هذا الخصب الواضح بها.

---

(١) راجع : البكري: السابق ص ٩١ .
(٢) الحميري: الروض المعطار ص ٥٧٧.
(٣) البكري: السابق ص ٩١ .
(٤) ابن رسته: الأعلاق النفيسة ص ٣٥٧ .
(٥) راجع: البكري: المغرب ص ٩٠، وراجع الحميري: الروض المعطار ص ٥٧٦ .
(٦) راجع: البكري: السابق ص ٩٠، وراجع الحميري: السابق ص ٥٧٧ .
(٧) راجع: البكري: السابق ص ٩٠، وراجع الحميري: السابق ص ٥٧٧ .
(٨) راجع: البكري: السابق ص ٩٠، وراجع الحميري: السابق ص ٥٧٧ .
(٩) راجع: البكري: السابق ص ٩٠، وراجع الحميري: السابق ص ٥٧٧ .
(١٠) راجع: البكري: السابق ص ٩١ .

هذا وقد تعامل سكان نكور بالرطل والمد مكيالاً، وبالدراهم التي كانت بالعد لا بالوزن[1] .

ومن الإشارات القليلة السابقة نقف بكل سهولة على ما تمتعت به إمارة نكور في عهد حكم بني صالح من ثراء ورخاء، وما نعمت به من تحضر وتمدن، وأنها لم تختلف في هذه الناحية من العمران والتحضر عن أية مدينة إسلامية أخرى مغربية أو مشرقية، وما تقدم من إشارات ينهض دليلاً على ما ذهبت إليه.

وقد برز بنكور بعض العلماء مثل: الحسين بن فتح النكوري المكنى بأبي علي، وكان مؤدبًا بالقرآن، وله بصر بالعربية والنحو الشعر[2] ، وقد سكن إشبيلية وحدث بها، وتلقى العلم عليه بإشبيلية العديدون، وأُثني عليه خيرًا من بعض العلماء الأندلسيين[3] . كما اشتهر من شعراء نكور كذلك: إبراهيم بن أيوب النكوري[4] .

***

(١) راجع: البكري: السابق ص ٩١ .

(٢) راجع: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، القسم الأول ص ١١٣، والسيوطي: بغية الوعاة جـ١ ص٥٣٨.

(٣) ابن الفرضي: السابق ص ١١٣، والضبي: بغية الملتمس ص ٢٦٧، والسيوطي: السابق ص ٥٣٨ .

(٤) البكري: السابق ص ٩١.

الخلاصة

حكمت أسرة بني صالح نكور أكثر من ثلاثة قرون حكمًا مباشرًا؛ نشرت خلاله الإسلام ومذهب أهل السنة والجماعة في منطقة نكور، وحالت هذه الأسرة دون امتداد الخطر الشيعي الفاطمي في منطقة نكور، وتحملت في سبيل ذلك أذى عظيمًا وضررًا بالغًا. واشتهر معظم أمراء هذه الإمارة بحسن السيرة، وجميل الخلال، وكريم الفعال، والنبوغ في الفقه على المذهب المالكي، ومشاركة مسلمي الأندلس الجهاد ضد أعدائهم. وارتبطت هذه الدويلة بعلاقات خاصة مع دولة الأمويين بالأندلس، قامت من خلاله إمارة نكور بحماية الشواطئ الجنوبية من غارات أعداء الأمويين، في حين أن الدولة الأموية بالأندلس ساندت هذه الإمارة ودعمتها وقدمت لها العون الأدبي والمادي وآوت أمراءها في أوقات المحن والملمات والأزمات، وأمدت إمارة بني صالح بالسلاح والعدة اللازمين لها. ولأن نكور كانت تتمتع بمقومات الرخاء والثراء والحضارة؛ فإن أمراءها استفادوا من هذه الإمكانات والمقومات في تحقيق الرخاء والغنى لقبائل البربر هناك الذين كانوا في معظم أوقاتهم وأحوالهم مؤيدين ومساندين لأمراء بني صالح، راضين عن حكمهم.

***

آل صالح بن منصور الحميري

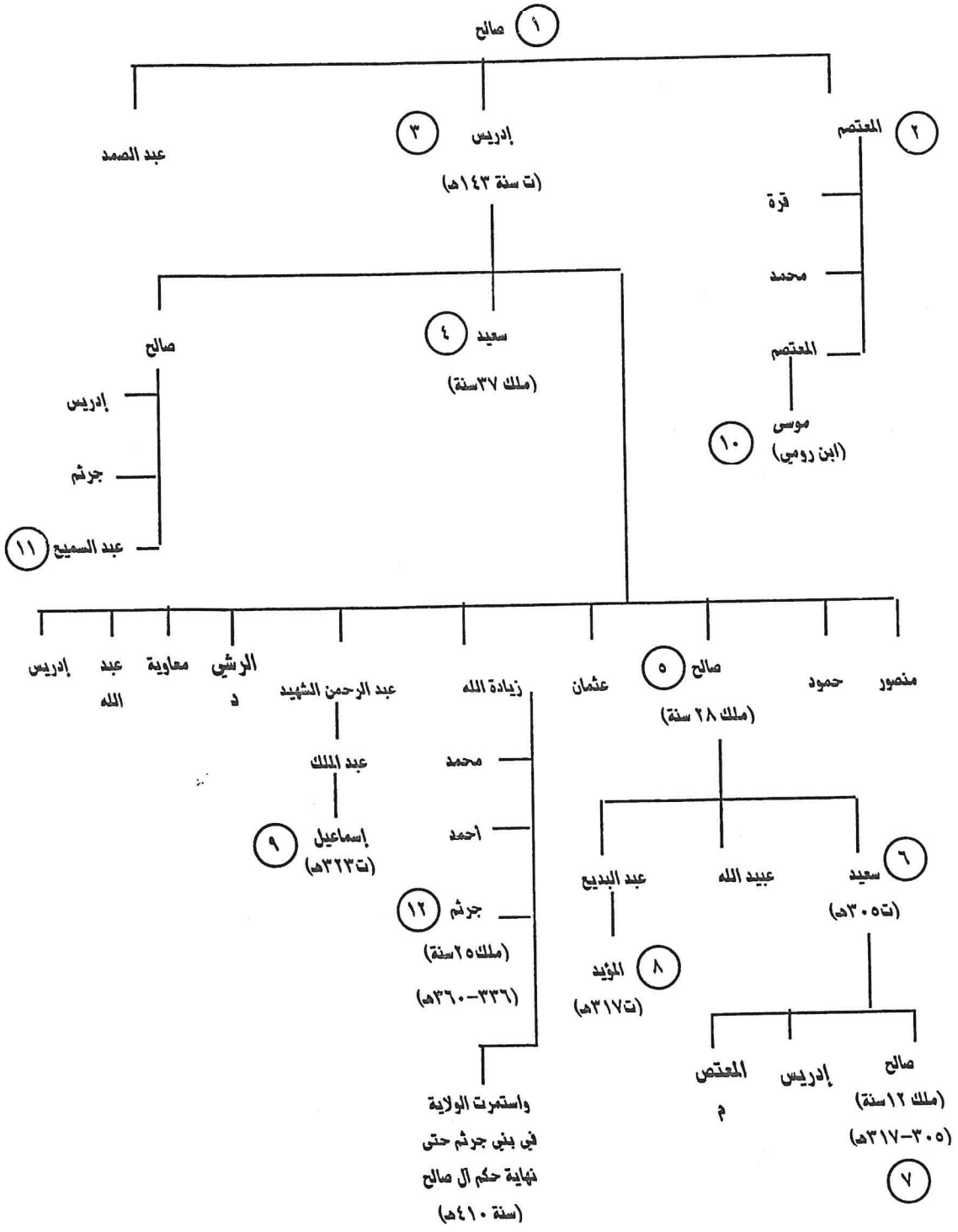

* المصادر *

ابن الأبار (أبو عبد الله القضاعي ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م):

الحلة السيراء. تحقيق: د. حسين مؤنس. دار المعارف. القاهرة.

ابن الأثير (علي بن أبي الكرم محمد ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):

الكامل في التاريخ. دار صادر - بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس. من علماء القرن السادس الهجري):

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. عالم الكتب. بيروت - لبنان.

الإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي. توفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري):

المسالك والممالك. تحقيق: محمد جابر عبد العال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر، العدد ١١٩.

البكري (أبو عبيد البكري، توفى سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م):

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. وهو جزء من «المسالك والممالك». الناشر: دار الكتاب الإسلامي. القاهرة.

ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):

جمهرة أنساب العرب. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الحميري (محمد بن عبد المنعم):

الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: د. إحسان عباس. مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤م.

ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي، عاش في القرن الرابع الهجري):

صورة الأرض. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. لبنان.

ابن حيان (أبو مروان القرطبي ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م):

المقتبس في أخبار بلد الأندلس. الجزء الخامس، تحقيق: شالميتا، مدريد ١٩٧٩م.

ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م):
أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام. القسم الثالث، تحقيق: د. أحمد مختار العبادي، ود. محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، الرباط ١٩٦٤م.
ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):
العبر وديوان المبتدأ والخبر، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.
ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر بن رُسته):
الأعلاق النفيسة. طبع في ليدن بمطبعة بريل ١٨٩١م.
ابن زرع (علي بن زرع الفاسي):
الأنيس المطرب. دار المنصور للطباعة. الرباط ١٩٧٢م.
السراج (محمد بن محمد الأندلسي ت ١١٤٩هـ):
الحلل السندسية في الأخبار التونسية. تحقيق: محمد الحبيب الهيلة. دار الغرب الإسلامي ١٩٨٤م. الجزء الثاني.
السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
شيخ الربوة (محمد بن أبي طالب الدمشقي ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م):
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.
الصفدي (صلاح الدين خليل ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):
الوافي بالوفيات، جـ٥ باعتناء ديدرينغ.
الضبي (أحمد بن يحيى ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م):
بغية الملتمس في تاريخ الأندلس. دار الكاتب العربي ١٩٦٧م.
ابن عذارى (أبو محمد المراكشي توفى في ق ٨هـ):
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق: كولان وبروفنسال، الدار العربية للكتاب. بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف):
تاريخ علماء الأندلس. الدار المصرية للتأليف والنشر، المكتبة الأندلسية ١٩٦٦م.
القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):
آثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر. بيروت.
ابن القوطية:
تاريخ افتتاح الأندلس. تحقيق: د. عمر فاروق الطباع. مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان ١٩٩٤م- ١٤١٥هـ.
المقدسي (شمس الدين أبو محمد المقدسي):
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. دار صادر، بيروت.
المقريزي (تقي الدين المقريزي ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):
المقفى الكبير جـ٤، تحقيق: محمد اليعلاوي. دار الغرب الإسلامي.
ياقوت (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):
معجم البلدان. دار صادر. بيروت.

ثانيًا: المراجع:

د. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس. دار الرشاد.

- تاريخ المغرب وحضارته. العصر الحديث للنشر والتوزيع.

د. سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى، جـ١. مكتبة الأنجلو المصرية.

د. عبد المجيد نعنعي: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس. دار النهضة العربية.

***